ومن انجازات هرتسل، بالاضافة الى تحديد الهدف والوسيلة، خلق الاطار التنظيمي والمالي لبلوغ الهدف. ومع فشله في تحقيق التسلل التدريجي الى فلسطين، على الرغم من الجهود المضنية من طريق المفاوضات الدبلوماسية، الا انه، بحق، ارسى القاعدة التي توصل من اتى بعده الى اكمال المسيرة وصولاً الى الهدف. ولا غرابة، اذاً، في ان يكتب هرتسل في مذكراته، بعد مؤتمر بازل: «لو اردت ان اختصر مؤتمر بازل في كلمة واحدة ـ وهذا ما لن افعله صراحة ـ لقلت: في بازل اسست الدولة الصهيونية. ولو اعلنت ذلك اليوم، لقابلني العالم بالسخرية والتهكم، ولكن بعد خمس سنوات على وجه الاحتمال، وبعد خمسين سنة على وجه التأكيد، سيرى هذه الدولة جميع الناس»[٣٤].

التحرك الصهيوني بعد هرتسل

لاقت الحركة الصهيونية، بعد موت هرتسل، تراجعاً نسبياً، بسبب حدوث انقسام بين اعضاء المؤتمر الصهيوني السابع (آب ـ اغسطس ١٩٠٥). ويبدو ان سبب الانقسام كان حول مشروع اوغنده الاستيطاني. وظهر، تبعاً لذلك، تياران صهيونيان: السياسيون المؤيدون له، والعمليون المعارضون له. فالعمليون اعتقدوا بأن الجهد الرئيس للحركة الصهيونية يجب ان يتوجه الى الاستيطان والعمل الثقافي في فلسطين؛ اما السياسيون، فقد تمسكوا بخط هرتسل الذي يقوم على التمسك بأن المنظمة يجب الّا تبدأ النشاط العملي قبل الحصول على ضمانات سياسية كافية، اي على «براءة»، من حيث هي الترخيص لاستعمار فلسطين بمساعدة دول عظمى[٣٥].

وفي المؤتمر الصهيوني الثامن، دعا وايزمان الى توحيد جهود السياسيين والعمليين، وقال: «ان عملنا الدبلوماسي مهم؛ ولكنه يزداد اهمية بانجازاتنا الفعلية في فلسطين؛ فاذا جمعنا بين المدرستين (السياسية والعملية) امكننا ان نتجاوز نقطة الموت؛ ربما نحن لم نعمل شيئاً كثيراً حتى الآن، ولكن اذا قلتم لي انه حال بيننا وبين قصدنا الصعوبات المحلية، او السلطات التركية، فسوف لن اقبل سماع ذلك منكم. انها ليست غلطة الترك، اذ يمكن دائماً عمل شيء»[٣٦].

وانطلاقاً من هذا التوجه، باشرت الحركة الصهيونية مشروع الاستيلاء التدريجي على فلسطين، من طريق التسلل وفرض الامر الواقع. فاقيمت الاجهزة والتنظيمات الخاصة بالهجرة، ووضعت ترتيبات الشؤون المالية؛ الا ان نسبة النجاح، قبل قيام انقلاب «تركيا الفتاة» على السلطان عبدالحميد، بقيت محدودة[٣٧].

وتجدر الاشارة، هنا، الى ان الوعي الفلسطيني لحركات التسلل الصهيوني قد ظهر مبكراً، ووقف الفلسطينيون، بقوة وعناد، يقاومون هذا التسلل بوسائل مختلفة، منها الصدامات الدموية مع المستوطنين الجدد، ومنها عرائض الاحتجاج التي ارسلت الى عاصمة السلطنة على الهجرة اليهودية، ومنها توضيح المرامي الصهيونية للاتراك وللفلسطينيين في كتابات صحفية ظهرت في جريدة «الاصمعي»، وفي كتابات كثيرة، منها ما ظهر ليوسف الخالدي، والشيخ رشيد رضا، ونجيب عازوري، وسواهم.

لقد دفع هذا الوعي الفلسطيني المبكر، والتحرك الذي رافقه، السلطان عبد الحميد الى الامتناع عن قبول اغراءات هرتسل المالية وضغوطات الدول الاجنبية مقابل بيع فلسطين لليهود، على الرغم من افلاس خزينته وحاجته الى المال[٣٨].